- المحاضرة الأولى

مراحل تطور الخط العربي عبر العصور الإسلامية

تم تقسيم مراحل تطور الخط العربى عبر العصور الإسلامية إلى خمس مراحل، وهى:

- **-<u>المرحلة الأولى (التطور الابتدائى):</u>**
- **كان الخط في أول مراحله غير منقوط ولا مشكول، وخالياً من علامات الإعراب والضوابط، وقد سبب هذا النقص عسراً في القراءة، وتصحيفاً لبعض الكلمات، بسبب دخول أجناس غير عربية في الإسلام، ولا شك أن أبا الأسود الدؤلي (ت 69هـ/688م) من أول من برع في هذا الميدان، حيث وضع نقاطاً للحروف كانت بمثابة الحركات، بلون مغاير ومخالف للون حبر الكتابة نفسها، وكان أبو الأسود هذا تلميذاً للإمام علي"رضي الله عنه"وقام بهذا العمل بهدى منه وبتوجيهه، إلا أن تنقيط الحروف لم يتم إلا في أواخر عصر بني أمية، وبالتحديد في عهد عبد الملك بن مروان، على يد نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني ، فوضعا نقاطاً للحروف لتمييزها بنفس لون مداد الكتابة، أما الحركات والضوابط الأخرى(علامات الشكل)فهي من ابتكار الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ/ 786م) .**

- **أول من وضع الشكل:**
- السريان هم من أول من وضع الشكل في الكلمات، وذلك عندما دخلوا في النصرانية ونقلوا الكتب المقدسة إلى لغتهم، ورأوا أن بعض الناس يلحنون في قراءتها؛ فخافوا أن ينشأ عن ذلك تحريف في اللفظ يغير المعنى، ويؤدي إلى الكفر والزندقة، فاخترع الأسقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة 460م نقطاً كانت ترسم مصاحبة لبعض الحروف، ثم تحولت إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث، وقد كانت عندهم أيضاً نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه، أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها، إن كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً

- **أول من وضع الشكل فى العصر الإسلامى وسبب ذلك:**
- **وضع أبو الأسود الشكل(يراد بالشكل ضبط الكلمة بالحركات لتؤدي المعنى المقصود منها وفقاً للغة العرب الصحيحة)في زمن معاوية بطلب من زياد أمير العراق، وكان ذلك بعد أن وضع النحو بإرشاد أمير المؤمنين"علي بن أبي طالب"كرم الله وجهه، والسبب في ذلك:أنه لما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم وتناسلوا؛ بدأ اللحن يظهر في ألفاظهم، فخشى العرب أن تفسد ألسنة زراريهم ويؤول ذلك إلى ضياع لغتهم، وخافوا أن يتطرق الخطأ إلى القرآن، وهو عماد الدين وأساس الإسلام، فأخذوا يفكرون في تدارك هذا الأمر لوقاية هذا اللسان قبل أن يصعب إصلاحه.**
- **وقد بدأ أبو الأسود بشكل المصحف، وقال لكاتبه:خذ المصحف، وخذ صبغاً يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة واحدة فوقه، وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن تبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، وأخذ يقرأ بالتأني والكاتب يضع النقط، وكلما أتم صفحة راجعها أبو الأسود، حتى أعرب المصحف كله.ومن هذا يتبين أن أبا الأسود هو أول من وضع الشكل في الخط الكوفي، وقد وضع الفتحة والكسرة والضمة والتنوين، وضعها بهيئة نقط بلون يخالف لون المداد الأصلي للكتابة.**

- **<u>إعجام الحروف:</u>**
- **كان الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق لعبد الملك بن مروان، فلما سمع كثرة التصحيف في القرآن بسبب تشابه الحروف؛ فزع إلى كتابه وطلب منهم أن يضعوا على الحروف المتشابهة علامات تميزها، ولما كان المسلمون يكرهون أن يزيد أحد شيئاً على ما في مصحف عثمان أراد الحجاج أن يستعين على هذا الإصلاح برجال اشتهروا بالتقوى حتى لا يعارضه أحد فيما أراد، فدعا نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، وكانا على جانب عظيم من التقوى والصلاح والتفقه بالدين، كما أنهما كانا من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي واضع الشكل في القرآن، وأطلعهما على مراده وأفهمهما ما يؤول إليه أمر القرآن من التصحيف والتحريف، إذا لم يقرا إدخال هذا الإصلاح، وبعد البحث والتروي رضيا بالإعجام(المراد بالإعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع علامة عليها بمنع اللبس)، وهو أن توضع نقط مفردة على بعض الحروف المتشابهة أو مزدوجة، ويهمل بعضها من النقط، وأن يكون الإعجام بالمداد الذي تكتب به المصاحف، تمييزاً له عن الشكل الذي هو نقط بالمداد الأحمر أو بمداد مخالف للون مداد الكتابة.**

- علامات الشكل:
- تقدمت فنون الكتابة تقدماً عظيماً فأحب الناس أن يجعلوا الشكل من نفس لون مداد الكتابة تسهيلاً للأمر، ولأنه لا يتيسر لكل كاتب وفي كل جهة لونان من المداد، فوقف في سبيلهم تشابه الشكل بالإعجام، لأن كلاً منهما يحدث بالنقط، فاضطروا إلى إيجاد إصلاح في أحدهما، فانبرى لذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان من أوسع الناس علماً بالعربية، ورأى أن يصلح طريقة الشكل، وأن يبقي الإعجام بالنقط لسهولته، ولفته إلى ذلك ما أحدثه بعض أتباع نصر ابن عاصم من جعل الإعجام بغير النقط، فوضع ثماني علامات للشكل
هي:الفتحة(ألف صغيرة مضطجعة فوق الحرف)والضمة(واو صغيرة فوقه)والكسرة(ياء صغيرة تحته)والسكون(وضع للسكون الشديد وهو ما يصاحب الإدغام رأس شين بغير نقط "سـ"،وللسكون الخفيف وهو ما لا إدغام معه، رأس خاء بلا نقط"حـ") والمدة(ميم صغيرة مع جزء من الدال"مد")والصلة(لألف الوصل رأس صاد"صـ"توضع فوق ألف الوصل) والهمزة(رأس عين "عـ"لقرب الهمزة من العين في المخرج)والشدة؛ فاتبعها الناس وأهملوا الشكل بالنقط.

- **-المرحلة الثانية:**
- **وتنقسم هذه المرحلة من أواخر عصر بني أمية وأوائل العصر العباسي إلى أيام المأمون إلى مرحلتين متميزتين، هما:**
- **1-مرحلة ما قبل المأمون، وتعتبر مرحلة التحول واختراع الأقلام .**
- **2-مرحلة عهد المأمون، وكانت مرحلة إيجاد الأقلام وجمعها، كما كانت مرحلة تهذيب الأقلام وتحديد أنواعها .**
- **وقد ظهرت في هذه المرحلة عدة أنواع من الخطوط والأقلام على أيدي كل من قطبة-الضحاك بن عجلان-إسحاق بن حماد-إبراهيم الشجري-يوسف الشجري..وعدد آخر من أهل العراق عرفوا بالوراقين،**
- **ومن أشهر هذه الأقلام:الجليل-السجلات-الديباج-الطومار الكبير-الثلثان الصغير والثقيل-الزنبور-المؤامرات-الحرم-العهود-القصص-الأجوبة-النصف الثقيل-الثلث الكبير .**

- كما ظهر بعد هذه الأقلام اثنا عشر قلماً أخرى هي:السميعي-الأشرية-الخرفاج الثقيل-الخرفاج الخفيف-المفتح-مفتح النصف-خفيف النصف-المدور الكبير(الرياسي)-المدور الصغير-النرجسي-خفيف الثلث الكبير-الرقاع، وظهر قلم آخر هو المحقق أو الوراقي، وكانت هذه الأقلام تسمى الموزونة أو الأصلية، ومنذ ذلك الوقت (198-218هـ)/(813-833م)وضحت أشكال من الخطوط ذات طابع دقيق(خفيف)، أو غليظ(ثقيل)، ووضحت كيفية كتابتها واستعمالاتها المتنوعة، كما ظهرت أقلام أخرى عن طريق الكتاب في ديوان المأمون، ولا سيما الأحول المحرر الذي ساانده ذو الرياستين"الفضل بن سهل"، وهذه الخطوط والأقلام هي:الأمانات-المدمج-المرصع-النساخ-المنثور-الوشي-المكاتبات-غبار الحلبة-البياض-المسلسل-الحوائجي، ولقد أدى هذا التطور إلى إيجاد ستة وثلاثين قلماً، واستقر وضع الخطوط والخطاطين على هذا الأساس، إلى أن انتهت جودة الخط إلى ابن مقلة.

- **-المرحلة الثالثة:**
- **وقد تم تطور هذه المرحلة بمساعي ابن مقلة الوزير، وأخيه، وكان عمل ابني مقلة الرئيسي هو إنهاء الاضطراب في وضع الأقلام والخطوط، وانتخاب أربعة عشر نوعاً والعمل على تهذيبها، ووضع الأسس والقواعد المنظمة لها على أساس البسط والتدوير، وهندسة أبعاد الحروف، والمقارنة بينها، وإيصال خط البديع(النسخ)إلى مرتبة الكمال والحسن، وتهذيب الخط المحقق والتوقيعات والرقاع.**

- **-المرحلة الرابعة:**
- **وتمت على يد أبي الحسن علي بن هلال المشهور بابن البواب، ويعتبر أبرز ما قام به هو تطوير مجموعة الأقلام التي انتخبها ابن مقلة، ونظمها على أساس قاعدته الهندسية، واستخدم القواعد التي حددها ابن مقلة، ونظمها على طريقة جديدة هو مبتكرها، وقاس الحروف والكلمات كلها بميزان النقاط، وعمل على نشر منهجه الخطي، ومن ثم تكونت مدرسة خطية اتبعت طريقته، كما اكتشف قلم الريحاني، وقد استمر منهجه الخطي وشاعت أقلامه حتى أواخر عصر المماليك في مصر .**

- **-المرحلة الخامسة:**
- **كانت هذه المرحلة هي مرحلة تعديل الخطوط، وتثبيت الأقلام الستة وذلك بفضل جهود ياقوت المستعصمي، وخلاصة ما قام به:إعادة تنظيم الخطوط التي ابتكرها ابن مقلة وابن البواب على أساس القياس الهندسي والقياس بالنقطة بدقة أكثر، كما انتخب ستة أقلام هي الثلث-النسخ-الريحان-المحقق-الرقاع-التوقيع، وسعى إلى تحسينها وتجميلها، وقد ظل منهجه متبعاً، غير أن رونقه لم يكتمل إلا في القرنين (9-10هـ)/(15-16م) .**